

بناء العلاقات

بقلم: Joanna Szymanska and Joelle Zimmerman (PL and BE)

1. الأساس للتكيف النظري المدرسي.
2. استهداف الطلاب والمعلمين المعرضين للخطر.
3. الذهنية الخماسية: العروض الخاصة بالخطوات الأساسية

1. الأساس النظري للتكيف المدرسي

لقد أصبحت مسألة الانتقال من المرحلة الدراسية الأساسية إلى المرحلة الثانوية مسألة يتم تداولها دوماً في الممارسات العملية والأدبيات البحثية، بحيث يتم وصف العملية الانتقالية هذه باعتبارها عملية خطيرة وحساسة جداً. أظهرت العديد من الأبحاث أن عملية الانتقال إلى المرحلة الثانوية يصاحبها ازدياداً في المشاكل السلوكية والإحباطات لدى الطلاب، وانخفاضاً في العوامل المحفزة والتحصيل الأكاديمي والاحترام الذاتي (Eccles & Midgley, 1989; Eccles 1993; Harter 1996). أشار هؤلاء المؤلفون إلى أسباب المخاطر المتعلقة بمسألة الانتقال إلى المرحلة الثانوية.

توضح Eccles (1981) بأنه وخلال مرحلة الانتقال إلى التعليم الثانوي، يصبح المناخ المدرسي أقل خصوصية وأكثر رسمية وتقديرية، علاوة على كونه أكثر تنافسية عنه في الصفوف الابتدائية. ويقوم المعلمون بالأساس في نقل هذه القيم المتغيرة باعتبارها المعايير الصحيحة. كما يتم التركيز وبشدة على المقارنة الاجتماعية بين الطلاب. يقترح نموذج Eccles (1990) أن الهوية القائمة بين المناخ المدرسي الثانوي وبين احتياجات هؤلاء المراهقون تساهم في التغيير السلبي الملحوظ في مسألة التحفيز. يصبح المعلمون أكثر تسلطاً في حين يحتاج الطلاب في المرحلة إلى استقلالية أكبر، وتصبح العلاقة بين المعلم والطالب غير شخصية في حين يحتاج الطالب إلى دعم أكبر من البالغين حوله وليس من أفراد عائلته (بقلم ماريا).

تظهر الدراسات التي قام بها Connel وKlem (2004) علاقة واضحة بين دعم المعلم ومشاركة الطالب والأداء الأكاديمي لطلاب المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. يظهر الطلاب الذين يقدم لهم معلمهم الرعاية الكاملة والذين يتمتعون بمناخ تعليمي منظم تكون فيه التوقعات عالية وواضحة وعادلة، يظهر

الطالب استعدادا عاليا للمشاركة في المدرسة. أبدى طلاب المرحلة المتوسطة استعدادا للمشاركة، أعلى بثلاث مرات، في حال إحساسهم بدعم المعلمين لهم. يحتاج المراهقون إلى الشعور بأن المعلمين يشاركونهم همومهم ويفهمونهم ويعتنون بهم؛ في نفس الوقت، يحتاج المراهقون إلى الإحساس بدعم المعلمين لاستقلاليتهم. أخيرا، اقترح المؤلفون نماذجا واستراتيجيات للإصلاح المدرسي من شأنها خلق مناخات خاصة وأكثر حميمية للشبيبة.

أشارت المراجعة التي قام بها Noam و Fiore (2004) إلى الدور الهام الذي تلعبه العلاقات في جوانب النمو والتعلم ومعالجة المراهقين، حيث أن المدارس الأكثر نجاعة أكاديميا هي تلك التي يشعر فيها الطلاب بالقرب من واحترام المعلمين لهم. كما يتجاوب الطلاب بشكل أفضل مع المعلمين الذين يشعرونهم بأهميتهم. تساهم العلاقات الإيجابية مع البالغين من غير الأهالي في تمتع الطلاب بحس الانتماء وبناء هوية متكاملة وشاملة لهم علاوة على قدرتهم في اكتساب مهارات نفسية واجتماعية. تيرهن النظريات العلاجية والتطويرية أن العلاقات الإيجابية مع المعلم تصبح أكثر أهمية للطلاب الذين يعانون من مشاكل اجتماعية واقتصادية وشعورية وتعليمية، حيث يمكن لهذه العلاقات الإيجابية من تغيير الرؤية السلبية الذاتية وللآخرين لدى هؤلاء الطلاب بالرغم من نشوء هذه الآراء داخل أسر سلبية.

يعتقد المؤلفون أن المعلمين في الغالب لا يفهمون المعنى الدقيق لـ "بناء العلاقات الإيجابية"، حيث يظن غالبيتهم أنه نوع من العلاج الجماعي الذي يتطلب أساليب وكفاءات خاصة.

أيضا، يقترح Stuhlman و Hamre و Pianta (2002) أن العديد من المشاكل التي يعاني منها الطلاب مثل انعدام الدافعية وعدم المشاركة والمشاكل السلوكية هي نتيجة غياب الدعم للسيطرة العالية من قبل الإدارة المدرسية والسياسات الانضباطية في المدارس المتوسطة. يشير المؤلفون، بناء على النتائج الواردة من الدراسات المتعددة التي قاموا بها، إلى أهمية بناء والمحافظة على العلاقات الداعمة والراعية بين المعلمون والطلاب وما ينجم عنها من فوائد للبالغين والمراهقين معا.

يعتبر دور المعلم مهم جدا من وجهة نظر الطالب من حيث الأثر الهائل الذي تتركه علاقة المعلم مع الطالب في العمليات التي تجري داخل الصف. في الدراسة السابقة التي أشرنا إليها، جاء موقع المعلم في الدرجة الثالثة لجهة الاحترام الذاتي (Harter, 1996). من هذا المنطلق، وجد Nordal (2002) أن هذه المسألة تتعلق بالكفاءة الاجتماعية للطلاب وسلوكهم العام تجاه المدرسة والإشكاليات السلوكية لديهم وسلوكياتهم تجاه الممارسات التعليمية. بنفس المعنى، استنتج البحث الذي قام به Bru و Thuen (1999)

أن العلاقات الإيجابية القائمة بين الطلاب والمعلمين تساهم في التقليل من المشاكل السلوكية داخل الصف وتساعد في زيادة التركيز الأكاديمي لدى الطلاب.

اقترح Ladd و Birch ثلاث سمات مميزة للعلاقة بين الطالب والمعلم والهامة جدا للطلاب الصغار، ألا وهي: الحميمية والاعتماد والنزاعات (Birch and Ladd, 1996)، حيث يمكن تطبيق هذه السمات على المراهقين أيضا خاصة عند انتقالهم من المدرسة الأساسية إلى الثانوية.

الحميمية البالغة: تتعكس هذه الحميمية من خلال مدى الدفء والاتصال المفتوح بين الطفل والمعلم، حيث يمكن توظيف هذه السمة كعامل دعم من خلال الراحة التي قد يبديها الطفل في التعامل مع معلمه والتحدث معه عن مشاعره وتجاربه الخاصة. يمكن لهذه الحميمية أن تخلق أثرا وسلوكا إيجابيا تجاه المدرسة؛ كما أن الدعم الذي يقدمه المعلم للطلاب من شأنه زيادة عامل التحفيز لدى الطالب ومشاركته في النشاطات المدرسية؛ وهكذا تشجيع الطالب على التعلم والدافعية.

الاعتماد المنخفض: يمكن اعتبار الاعتماد المنخفض مظهرا من مظاهر العلاقة النوعية التي قد تعيق من التكيف الناجح للأطفال داخل المدرسة. على نحو أمثل لجهة العلاقات الداعمة، تهيء هذه السمة المناخ لمضاعفة الحميمية تدريجيا وخفض مستويات الاعتماد الكلي. قد يتصرف الأطفال الذي يعتمدون على المدرس الصفي بشكل كلي بتردد نحو اكتشافاتهم الخاصة بالمناخ المدرسي وقد يشعرون بدافعية منخفضة لجهة استكشاف محيطهم أو أية علاقات اجتماعية أخرى خاصة بهم؛ كما أنهم قد يعانون من مشاعر سلبية تجاه مدرستهم والإحساس بالوحدة والقلق.

نهر من النزاعات الحاصلة في العلاقات بين الطلاب والمعلمين: تلعب هذه السمة دورا ضاعطا على الطلاب، كما أنها قد تعيق من نجاحهم في التكيف داخل المدرسة. يمكن تصور العلاقات الخلافية من خلال التفاعل المتنافر بين الطرفين وانعدام العلاقة بينهما. كما قد تكون نتاج عدم مشاركة الطلاب أو انطوائهم أو سلوكهم السلبي تجاه المدرسة.

أنجزت هذه الدراسة مع طلاب الحضانة، إلا أننا نعتقد أن السمات المشابهة سوف تترك أثرا مشابها على تطور الطلاب خاصة خلال انتقالهم إلى المرحلة الثانوية.

Wentzel، ومن خلال محاولته فهم واستنتاج آراء الطلاب حول تصورهم للمعلم الداعم، قام بفحص عينة من الطلاب (المرحلة المتوسطة)، وطلب منهم كتابة ثلاث ممارسات يمكن أن يقوم بها المعلم

ليعبر من خلالها عن دعمه ورعايته لهم، بالإضافة إلى ثلاث ممارسات تعبر عن عدم اهتمام المعلم بهم. تم تصنيف إجابات الطلاب إلى أربع أبعاد:

1. التفاعل الديمقراطي باعتباره مظهرا من مظاهر الاحترام.
2. التعامل مع الفروقات الفردية (الاجتماعية والأكاديمية).
3. التوقعات العالية لجهة التحصيل.
4. التشجيع الإيجابي والتغذية الراجعة.

2. استهداف المعلمين والطلاب المعرضين للخطر

(Stuhlman, Hamre and Pianta, 2002)

يمكن أن تساهم الاستراتيجيات الأكثر تركيزا وعمقا في تحسين العلاقات بين بعض الطلاب والمعلمين المعرضين للخطر. يشمل الطلاب المعرضون للخطر أولئك الذين يعانون من مشاكل في الانضباط ومن ضغوط هائلة داخل المنزل أو المنزليين عن باقي أصدقائهم من الطلاب. يشمل المعلمون المعرضون للخطر أولئك الذين يمارسون مهنة التعليم للمرة الأولى أو ممن يتواجد لديهم طلاب مشاكسين داخل الصف أو الذين يعانون من الإنهاك.

يحتاج المعلمون الذين يعملون مع طلاب معرضين للخطر أن يكونوا أكثر إدراكا للأثر الذي قد يتركه أحاسيسهم أو مشاعرهم تجاه الطلاب من حيث منعها تقديم الاحتياجات اللازمة للطلاب ومساعدتهم في التخلص من أو التقليل من المشاكل التي يعانون منها. عندما يدرك المعلم جيدا القدرات الكامنة لدى طلابه، يصبح بمقدوره تحقيق تغييرات إيجابية في التفاعل بينه وبين الطلاب والتي من شأنها الإسهام في عملية نمو وتطور جميع الطلاب. على سبيل المثال، يرسل مركز كليويولو، هيئة غير ربحية في بالو ألتو، كاليفورنيا، موظفو الصحة النفسية لديه إلى المدارس الأساسية والمتوسطة، حيث يقضي هؤلاء وقتا كافيا داخل الصفوف لأغراض بناء العلاقات مع المعلمين والعمل معهم على الجوانب الخاصة بمسألة بناء العلاقات، مثل:

1. فهم التحديات السلوكية لدى الطلاب ومنع هذه السلوكيات من الحد من بناء العلاقات الناجحة.
2. تعزيز الإدراك والقناعة بالقدرات الكامنة لدى الطلاب.
3. تطوير قائمة بالطرق التي يمكن من خلالها توصيل أكبر عدد ممكن من التوقعات المنتظرة من الطلاب.

4. إدراك الطالب الذاتي وإيمانه بالقدرات الكامنة لديه.
5. الاعتراف بأهمية وقوة تأثير العلاقات الفردية مع الطلاب.

إن توفير الدعم لمجموعة محددة من المعلمين قد يعود بمنفعة على جميع الطلاب، حتى لو ركز هذا الدعم على علاقة معلم مع طالب محدد. فبما أن الصف هو المكان الذي يطلب من الطلاب فيه أن يؤديوا بشكل يومي، فإن إحاطته بمناخ داعم من شأنه ترك آثاراً مرحلية وبعيدة المدى لجهة العديد من المخرجات مثل الحضور والدافعية والسلوك.

تعتبر العلاقات الإيجابية مع المعلمين أدوات هامة لأغراض ترويج نجاح الطلاب المراهقين داخل وخارج المدرسة. كما تصبح هذه العلاقات أكثر أهمية لجهة قدرتها على تمكين الطالب من التعامل مع متطلبات المرحلة المتزايدة مثل الاعتماد الذاتي والتحديات الإنمائية المتعلقة بمرحلة المراهقة. هناك العديد من الخطوات التي يمكن أن يتخذها مدراء المدارس لأغراض تحسين نوعية العلاقات القائمة بين الكبار والطلاب داخل المدرسة. إلا أنه وبغض النظر عن الخطوات التي يتم اختيارها، من الضروري أن تسهم جميع هذه الخطوات في نجاح المدرسة ونجاح الطلاب في تخطي المرحلة الانتقالية؛ من الطفولة إلى البلوغ.

3. الذهبيات الخمسة: العروض الخاصة بالخطوات الأساسية

بشكل عام، نحن نهدف إلى بناء علاقة آمنة وجيدة بين الطالب والمعلم تقوم على مبدأ الاحترام المتبادل والمشاركة. إن العلاقات الجيدة مع الطلاب من شأنها أن تعود بمنافع عدة على الكبار والمراهقين معاً، كما أن من شأنها التأثير على المناخ الاجتماعي داخل الصف وفي المدرسة. تعتبر العلاقات الإيجابية مع المعلمين من الأدوات الهامة في ترويج نجاحات الطلاب المراهقين داخل وخارج المدرسة. إن المدارس الأكثر نجاعة أكاديمياً هي تلك التي يشعر فيها الطلاب بالقرب من واحترام المعلمين لهم، وهنا يكمن الدور الأساس للمعلم. **ولكي تكون معلماً "ذهيباً"، عليك أن تبرز المميزات الخاصة بكل طالب على حدة، وأن ترغب بالتواجد معهم والاستفادة من الوقت سوياً، وأن تظهر رغبة في مصابحتهم وفهم العالم الخاص بكل منهم (القدرات الثقافية). كما يعني ذلك تطوير ميزات شخصية مثل التودد والاستقرار العاطفي والموضوعية والجاذبية الشخصية.**

هنا، نقترح أربع كفاءات أساسية وخطوات أساسية متعددة من أجل خلق مناخات شخصية ومريحة للجميع خاصة الشبيبة.

1.3 تظهر جوانب الرعاية والقرب من خلال مدى الدفاء والاتصال المفتوح الحاصل بين الطالب والمعلم. تساهم الرعاية في عملية بناء الثقة الذاتية للطالب، حيث يصبح من الضروري جدا قيام المعلم بالاعتراف بالقدرات الكامنة لدى الطالب واحترامها. كما أن الطلاب يتجاوبون بشكل أفضل مع المعلمين الذين يشعرون برعايتهم واهتمامهم.

-- استخدم اسم الطالب عند التحدث معه.

— ابتسم وبيّن الإيجابيات للطلاب و تقديرك عندما تلاقهم خارج الصف.

— استخدم اللحظات "الذهبية" لإظهار اهتمامك في الطالب وتحدث معه عن أمور خارجية لا علاقة لها بالدراسة.

— تذكر كل ما يقوله لك الطالب، أذكره أمامه و ابدي اهتمامك بما قيل.

— تأكد من "رؤيتك" للطالب مرة واحدة على الأقل كل حصة. (أنظر إلى الطالب، قف بجانبه قدر جهوده، ساعده، الخ)،

2.3 إن دعم الطالب يعني بالضرورة الاعتراف بالفروقات الفردية (الاجتماعية والأكاديمية)، كما يعني احترام التحصيل العالي له وإعطائه تشجيعا إيجابيا وتغذية راجعة. إن الدعم مرتبط ارتباطا وثيقا بالرعاية، فكما يحتاج المراهقون إلى الشعور بأن معلمهم يفهمهم ويرعى مصالحهم، فإنهم بحاجة أيضا إلى دعمه لمسألة حقهم في درجات معينة من الاستقلالية.

— استخدم الأوراق البيضاء: كل يوم وكل درس هما فرصة جديدة.

— أعطي الطالب تغذية راجعة إيجابية وبناءة.

3.3 تصميم وتوقع السلوك المناسب.

من الضروري الانتباه إلى وجود فروقات واضحة في السلطة داخل العلاقات القائمة بين الطالب والمعلم،

حيث يقوم المعلم بخلق مناخ يبين ويرسخ ويصمم بوضوح القيم الخاصة بالسلوك الاجتماعي المرغوب به (هنا، يوجد إشارة إلى المعيار الأول وهو الإدارة الصفية). من شأن هذا المناخ

أن يوفر للطلاب شعورا بالاستمرارية والاستقرار والانتباه، والذي بدوره يعزز من نوعية العلاقة القائمة بين الطالب والمعلم.

- استخدم الخصوصيات الاجتماعية أو ميزات كل طالب أو اختصاصه أو عمله الجيد أو سلوكه الجيد كإشارات يومية داخل الصف.

4.3 تطوير المهارات من أجل بناء علاقات إيجابية وتفاعلات ناجحة داخل الصف.

بما أن العلاقات الخلاقية بين المعلم والطالب تلعب دورا سلبيا وقد تعيق من قدرة الطالب على التكيف داخل المدرسة، لذا تبرز الحاجة إلى وجود علاقة بناءة بين الطالب والمعلم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكفاءات الاجتماعية لكليهما. من الضروري أن يقوم المعلم (والطالب أيضا - أنظر المعيار الثالث: المناخ الاجتماعي) بتطوير مهارات أساسية لجهة الاتصال والتواصل وحل النزاعات. يحتاج المعلمون الذين يعملون مع طلاب معرضين للخطر أن يكونوا أكثر إدراكا للأثر الذي قد يتركه أحاسيسهم أو مشاعرهم تجاه الطلاب من حيث منعها تقديم الاحتياجات اللازمة للطلاب ومساعدتهم في التخلص من أو التقليل من المشاكل التي يعانون منها. إن العلاقة الإيجابية وقدرة المعلم على التقليل من المشاكل السلوكية لدى الطالب داخل الصف (المعيار الأول) سوف يضاعف من تركيز الطالب الأكاديمي (المعيار الرابع: التعلم التكييفي).

- استخدم الفكاهة داخل الصف.

- حاول أن تستمع إلى وأن تتبنى وجهات نظر الطلاب الخاصة ببعض المواقف.

- تحدث بإيجابية عن الطالب أمام الكبار والطلاب الآخرين.

المصادر

1. Klem A.M., Connel J.P. "Linking Teacher Support to Student Engagement and Achievement". Journal of School Health, September 2004, Vol. 74, No. 7.

2. Stuhlman M.W., Hamre B., Pianta R. "Building Supportive Relationships with Adolescents". Middle Matters. Fall 2002.
3. Noam G.G., Fiore N. "Relationships Across Multiple Setting. An Overview". New Direction For Youth Development, No. 103, Fall 2004, Wiley Periodicals Inc.
4. Eccles J.S., Midgley C. "Stage-environment fit: Developmentally appropriate classrooms for young adolescents, in C. Ames § R. Ames EDS, Research on motivation in education: goals and cognitions, volume 3 (pp.139-186). Academic Press. N.Y. 1989.
5. Birch S.H., Ladd G.W. "Interpersonal relationships in the school environment and children's early school adjustment: the role of teachers and peers", Chap.9, P.199-225, in Junoven J. § Wentzel,K, Social motivation : understanding children's school adjustment, Cambridge University Press, 1996